el-Kîlânî'nin "Emîratü'l-Cebel" Romanındaki Coğrafi Mekân*

Hasan MORAD**

Öz

Bu çalışmada, el-Kîlânî'nin "Emîratü'l-Cebel" romanındaki coğrafi mekânlar ele alınmıştır. Kendisi doktorluk mesleğinin yanı sıra hikâye ve roman yazmakla da meşgul olmuş Mısırlı büyük bir yazar ve romancıdır. Ortaya çıkardığı ürünlerin çokluğu ve çeşitliliği bakımından dönem yazarlarının başında yer alır. İnceleyeceğimiz bu roman, babasının seçtiği adamla evlenmeyi reddederek sevgilisiyle birlikte kaçan aşiret şeyhinin kızını anlatmaktadır. Romandaki coğrafi mekânlar, hikâyenin geçtiği mevcut mekânları kapsamaktadır. Açık mekân, dar sınırlarla çevrelenmeyen geniş bir alanı ifade ederken kapalı mekânlar, mekânsal sınırlar içeren ve kapsamı açık olana göre daha dar olan mekânları ifade etmektektedir. Hayali mekânlar, zihinsel yapının düşünsel eyleminin ürünüdür. Buna karşın gerçek mekânlar, hakikatte var olan boyutları temsil etmektedir. Kutsal mekânlar, karakterin kendini psikolojik ve ruhsal olarak güvende hissettiği mekânlarken nostaljik mekânlar karakterin hafızasında dönmeyi arzuladığı mekânlara işaret etmektedir. Fıtrî/Doğal mekânlar insanın varlığını gösteren ve tabiatı her şeyin kökeni olarak kabul eden mekânlardır. Kirlenmiş mekânlar, günahların işlendiği temiz mekânları temsil etmektedir. Bu mekânların tümü sonuç kısmında ele alınan bulgularda da görüleceği üzere uygulamalı örneklerle açıklığa kavuşturulmuştur.

Anahtar Kelimeler: *Roman, el-Kîlânî, Coğrafî Mekân, Emîratü'l-Cebel.*

* Makale Geliş Tarihi / Received: 09.06.2024 / Makale Kabul Tarihi / Accepted: 19.07.2024
** Dr. Hasan MORAD, Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Mezunu, Temel İslâm Bilimleri, Arap Dili ve Belâgatı Anabilim Dalı, hsnmrad159@gmail.com, Orcid: 0000-0001-9179-574X.

Geographical Space In The Novel "Princess Of The Mountain" By Naguib Al-Kilani

ABSTRACT

This study delved into the geographical space within the novel 'Princess of the Mountain' by Naguib Al-Kilani. This Egyptian writer and prominent novelist, did not practice only medicine but also wrote stories and novels. His prolific and diverse literary works place him among the leading contemporary writers. The novel itself tells the story of a tribe leader's daughter who defies her father's choice of a suitor and elopes with her beloved. The geographical space in the novel encompasses various locations within the narrative: Open Space: Represents expansive outdoor landscapes without narrow boundaries. Enclosed Space: Has defined boundaries that isolate it from the outside world. Imaginary Space: A mental construct, a product of creative thought. Real Space: The objective and factual dimension. Sacred Space: Provides psychological and spiritual stability. Nostalgic Space: The place to which the character yearns to return. Natural Space: Reflects the presence of humanity, shaped by nature. Tainted Space: Represents a pure place where sinful acts occurred. These spaces are exemplified through practical examples within Al-Yaziji's maqāmāt, leading to the conclusions mentioned at the end of this study.

Keywords: *The Novel, Al-Kilani, Geographical Space, The Mountain Princess.*

الفضاء الجغرافي في رواية (أميرة الجبل) للكيلاني

ملخص

تناولت هذه الدراسة الفضاء الجغرافي في رواية (أميرة الجبل) للكيلاني؛ فهو كاتب مصري وروائي كبير مارس تأليف القصص والروايات مع ممارسة الطب، وهو في مقدمة الأدباء من حيث غزارة وتنوع إنتاجه، وهذه الرواية، هي قصة ابنة شيخ القبيلة التي ترفض الزواج من الرجل الذي اختاره والدها، وتهرب مع حبيبها، فالفضاء الجغرافي في الرواية يشمل الأمكنة الموجودة داخل القصة، كالمكان المفتوح؛ الذي يشغل حيزاً مكانياً لا تحدّه حدود ضيقة، والمغلق؛ الذي يحوي حدوداً مكانية أضيق من المفتوح، ثم الخيالي، وهو بناء ذهني، ونتاج فكري، أما الواقعي؛ فهو البعد الحقيقي، والمقدس الذي تشعر فيه الشخصية بالاستقرار النفسيّ والروحيّ، والرحمي الذي تتعطش الشخصية للعودة إليه بذاكرتها، والفطريّ ما يدل على الحضور الإنساني وتضع الطبيعة أصلاً لكل شيء، والمدنس؛ الطاهر الذي حدث فيه المعاصي، وقد تم إيضاح هذه الأمكنة بأمثلة تطبيقية، لتصل الدراسة إلى نتائج ذُكرت في نهايتها.

الكلمات المفتاحية: الرواية، الكيلاني، الفضاء الجغرافي، أميرة الجبل.

المقدمة

إنّ موضوع بحثنا عن الفضاء الجغرافي في رواية (أميرة الجبل) للكيلاني **حيث** يعد المكان من العناصر الرئيسية في الرواية، فهو الأكثر شيوعاً في العمل الأدبي، والرواية العربية؛ حتى أصبح بعضهم يعده العنصر الذي يمسك أجزاء الرواية، فإذا انفرط عقده أصبح العمل

دون رابط يشدّ جوانبه إلى بعضها، فمنهم من يرى أنّ المكان هو العمود الفقريّ الذي يربط أجزاء الرواية ببعضها.

ويرى بعض الأدباء أنَّ المكان ليس الطريق والبيوت والمزارع، إنّما هو الإحساس بوجوده ودوره ورسالته، هو محصّلة الحضور المتواصل الذي يلحّ عليه، والذي لا يستطيع تجاهله، فإذا انتفى ذلك الحضور المهيمن انتهى وجود المكان. فهو في الحقيقة يمثّل التصوّر الإنسانيّ للأبعاد المكانية؛ كما أنّنا لا نستطيع تصوّر أي لحظة في الرواية دون وضعها داخل سياق مكاني.

ويحمل المكان دلالات وعلاقات متنوعة تربط الإنسان بواقعه المكاني، فيتفاعل كل منهما مع الآخر، لتنشأ العلاقة بينهما، فيبسط المكان حركته على الشخصيات، ليدل على مدى العناية التي توليها اللغة في إطار توظيفها داخل النصوص السرديّة، لأجل ذلك تناول الدارسون والنقّاد المكان بالدرس والتحليل، ومنهم الروائي نجيب الكيلاني، الذي شكّل المكان في رواياته حيزاً واسعاً على امتداد السرد، فكان لعنصر المكان حضور بارز في روايات الكيلاني المتنوّعة، مثل: (أهل الحميديّة، وعمالقة الشمال... ورواية أميرة الجبل التي نحن بصددها، فالكيلاني شديد الوفاء لمنطقته الجغرافية، من هنا يصوّر المكان في رواياته تصورياً دقيقاً وعميقاً، وشديد الوضوح، إذ توصّل البحث في روايات الكيلاني إلى أن المكان احتلّ فيها حيزاً واسعاً ومتنوّعاً يجسّد فيها دلالات عديدة، ولهذا اخترنا هذه الدراسة للجمع بين المكان ودلالاته في رواية أميرة الجبل؛ لطبيعة العلاقة التي تربط بينهما والتي تخضع لأهداف الكاتب التي يقرّرها في سير النصّ، وهي بدورها تترجم ميوله وقدراته الإبداعية في نقل الواقع الثقافي والاجتماعيّ والنفسي.

10. المدخل

تبرز أهمية المكان في رسم الإطار العام للمادة الروائية؛ وتنظيم الأحداث، وتشويق القارئ، وصقل شخصية المادة الروائية، وتعميق الإحساس بوجوده ودوره ورسالته، وبيان حالته الاجتماعية، من فقر أو غنى، وآلامه وآماله. إن موضوع بحثنا عن الفضاء الجغرافي في رواية (أميرة الجبل) لنجيب الكيلاني، لأجل ذلك سنتعرف على شخصيته أولاً كالتالي:

1.1. نبذة عن حياة نجيب الكيلاني: وسيكون الحديث عن حياته حسب العناصر الآتية:

أ. مولده: ولد" نجيب الكيلاني" 1931م، في قرية شر شابة بمصر من أسرة تعمل في الزراعة في الريف المصريّ، نال شهادة الثانوية عام 1949م في طنطا، ثمّ التحق بكلية الطب بجامعة القاهرة[1]. اعتقل وهو في السنة الجامعيّة الأخيرة بسبب انتمائه لجماعة الإخوان المسلمين، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات وقد تعرّض لشتى ألوان العذاب، ثمّ أفرج عنه لأسباب صحيّة، عاد ليتابع دراسته الجامعية، وتخرّج في كلّيّة الطبّ عام 1960م، وبعدها بدأ بتأليف القصص والروايات والمسرحيات الهادفة، وكذلك ممارسة مهنة الطب، لقد كان لمعاناته في السجون الأثر الكبير في كراهيته للظلم والطغيان، ودعوته للحب والتسامح، واحترام الإنسانية والإسلام ممّا طبع أدبه كله بهذا الطابع. ويمثّل الكيلاني الرواية في المرحلة

[1] العقيل، عبد عقيل سليمان، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، دار التوزيع والنشر، مصر، ط1، 2002م، 623.

التي أطلق عليها" الواقعيّة الإسلاميّة" ويتّخذ من تفاصيل الحياة اليوميّة والاجتماعيّة عناصر أساسية يرتكز عليها بناء هذه الروايات[2].

ب . مؤلّفاته: الكيلاني في مقدّمة الأدباء الإسلاميين المعاصرين من حيث غزارة وتنوّع إنتاجه وتأليفه، فقد كتب أكثر من 70 كتاباً في الرواية والقصة والشعر والنقد والفكر والطبّ، وكان في سائر كتبه أديباً موهوباً متمكّناً من أدواته الفنيّة داعياً إلى الخير والتسامح والفضيلة وغيرها من القيم الإنسانيّة والإسلاميّة.

ومن أهمّ الروايات التي ألّفها: "الطريق الطويل"، "الربيع العاصف"، "قاتل حمزة"، " مواكب الأحرار"، " أميرة الجبل"...إلخ.

وقال الكيلاني في حديثه بمقابلة مع جريدة "القبس" الكويتية بتاريخ 1981/1/19م: "بدأت حياتي شاعراً أكتب الشعر فقط، وكان أغلبه شعراً سياسياً وعاطفياً ثمّ اتّجهت إلى القصّة، ودخلت مسابقة كبرى لوزارة التربيّة والتعليم برواية " الطريق الطويل" التي تُعبّر عن فترة الحرب العالميّة الثانية وانعكاساتها على المجتمع المصريّ، وفي القرية بخاصّة، وكانت المحاولة الأولى، وفزت بالجائزة وأنا سجين"[3].

بالإضافة إلى الروايات التي كتبها فإنه كتب كذلك مجموعة كبيرة من القصص القصيرة حول قضايا المجتمع العربي والإسلامي مثل: أرض الأنبياء، ليالي تركستان، عذراء جاكرتا... وكان لكتابات الشاعر الإسلامي محمد إقبال أثر كبير على الكيلاني، ونحن إذا

---

[2] الموقع الإلكتروني: الموسوعة الجزيرة نيت، تاريخ الوصول: 2024/2/22م: الرابط: https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2015/4/19/

[3] العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية، 625.

ما نظرنا إلى إنتاج الكيلاني نجد أنه يبتعد عن الإباحة والعري، ويهتمّ بمشكلات العالم الإسلاميّ، ويستلهم الكيلاني رواياته من الواقع الاجتماعيّ مثل: امرأة عبد المنجلي، ومملكة العنب.

أمّا في الشعر فقد ترك عشرة دواوين منها: عصر الشهداء، أغاني الغرباء، مدينة الكبائر... أمّا في مجال المسرح فقد كتب؛ على أسوار دمشق، حول المسرح الإسلاميّ، على أبواب خيبر... وفي ميدان الفكر أصدر: تحت راية الإسلام، الطريق إلى اتحّاد إسلاميّ، أعداء إسلاميّة. قضى الكيلاني أواخر حياته صابراً محتسباً يصارع المرض حتى وافاه الأجل في: 5 شوال، 1995م، فقد توفي ودفن في مصر[4].

2.1. ملخّص رواية "أميرة الجبل": هي أول رواية عربية تتناول ما يحدث بين قبائل جبال الشحوح في الخليج العربي، وتدور أحداثها في دولة الإمارات، وتتحدّث عن الصراع الذي يحدث بين العادات والتقاليد في تلك المجتمعات وبين ما يريد الشخص القيام به، وتسلّط الضوء على سلطة التقاليد على إرادة الشخص.

الرواية تحكي قصة أميرة الجبل وهي ابنة شيخ القبيلة، والتي بدورها ترفض الزواج ممّن اختاره لها والدها لذلك تقرّر الهروب من عادات وتقاليد مجتمعها إلى لبنان مع الطبيب

[4] الموقع الإلكتروني: الموسوعة الجزيرة نيت، تاريخ الوصول: 2024/2/22م: الرابط: https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2015/4/19/

الذي كان يعالجها، ليكون لها حرية اختيار شريك حياتها. فالرواية تناقش مجموعة من القضايا الاجتماعية والسياسية المنتشرة في دول الخليج[5].

11. مفهوم المكان الروائي

إن المكان له حضور متميز في النص الروائي، لأننا نفهم من خلال سلوك الفرد وموقفه الانفعالي الذي يعبر عن الحالات الانفعالية للمكان. ليكون حصيلة للتفاعل بين إشاراته المدركة في المجتمع وبين النفاذ إلى عمق التجربة المكانية. سنتعرف على مفهوم المكان الروائي.

1.2. مفهوم المكان الروائي: لقد اختلفت التعريفات الاصطلاحية والآراء حول مفهوم المكان حيث كان لكل ناقد وجهة نظر خاصة به، ومن النقّاد الذين درسوا هذا الموضوع عبد الملك مرتاض الذي يطلق عليه تسمية الحيز، إذ قال:" إنّ الحيز لا ينبغي له أن يدلّ إلا على ما يدل عليه معناه، وهو فسح للشخصيّات كي تتحرّك في مساحة معينة"[6].

أما حميد الحمداني يفضّل تسميته بالفضاء الروائي فيقول:" هو مجموع هذه الأمكنة وهو ما يبدو منطقيّاً أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء وما دامت الأمكنة في الروايات غالباً ما تكون متعدّدة ومتفاوتة فإنّ فضاء الرواية هو الذي

[5] بودكاست سالمه، الموقع الإلكتروني، تاريخ الوصول: 2024/2/22م: الرابط:
https://podcasts.apple.com/ve/podcast/

[6] مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية" بحث في تقنيات السرد"، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، بد ط ،1998م، 127.

يلغيها جميعاً"[7]. كما" شغل مفهوم المكان علماء الفلسفة قديماً وحديثاً، ففي الفكر الفلسفي القديم ظهر أفلاطون الذي اعتبر المكان غير حقيقي، وهو الحاوي للموجودات المتكثرة، ومحلّ التغير والحركة في العالم المحسوس، عالم الظواهر غير الحقيقي"[8]، كما:" صرّح بأول استعمال اصطلاحي للمكان إذ عدّه حاوياً وقابلاً للشيء"[9]. أمّا أرسطو فيرى أن المكان هو:" الحاوي الأول وهو ليس جزءاً من الشيء، لأنه مساوٍ للشيء المحوي وفيه الأعلى والأسفل"[10].

نستخلص من خلال تعريف كلا من أفلاطون وأرسطو أن المكان:" ملتصق بحياة البشر لأنهما يريان أن البشر يدركوا المكان إدراكاً حسياً مباشراً"[11]. قي الوقت نفسه نجد مفهوم المكان قد جمع عند الفلاسفة المسلمين بتعريف واحد فقالوا:" المكان؛ السطح الباطن للجسم الحاوي الملامس للسطح الظاهر للجسم المحويّ وهو الفراغ المتَوَهِم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده ويرادفه الحيّز"[12]. بعد هذه الإشارات التي وضّحها الفلاسفة

[7] لحميداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2003م، 63.

[8] شاهين، أسماء، جماليات المكان في روايات جبرا ابراهيم جبرا، دار الفارس، الأردن، ط2، 2001م، 9.

[9] جندار، ابراهيم، الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002، 167.

[10] حسين، فهد، المكان في الرواية البحرينية، ط1، دار فراديس، البحرين، 3003م، 55.

[11] حسين، فهد، المكان في الرواية البحرينية، ص56.

[12] حسين، فهد، المكان في الرواية البحرينية، ص57؛ وينظر الجرجاني، علي بن محمد؛ التعريفات، تح، ابراهيم الانباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1998م، 202- 227.

نجد أنّ مفهوم المكان أصبح يحتلّ مكانة مرموقة وواسعة في الفلسفة، فقد خصّصت لهُ أماكن في معظم المؤلّفات لدى علماء الفلسفة.

2.2. مظاهر المكان (المكان المفتوح، والمغلق والواقعي والخيالي)

تختلف الأماكن مظهراً وشكلاً وحجماً ومساحة، منها المكان الضيق المغلق والمتّسع المفتوح، والمرتفع والمنخفض والمتّصل، والواقعيّ والخياليّ، إنها أشكال من الواقع انتقلت الى الرواية وصارت عنصراً من عناصرها، ومن بين هذه الأنواع والمظاهر نذكر ما يلي:

أ. المكان المفتوح:" هو حيّز مكاني خارجي لا تحدّه حدود ضيقة يشكل فضاءاً رحباً وغالباً ما يكون لوحة طبيعية للهواء الطلق"[13]. فمن الأماكن المفتوحة مثل القرية أو الريف التي تطلق العنان لدلالات مختلفة منها الشعور بالحرية والقوة والانطلاق، وكذلك الوطن الذي تشعر فيه بالأمن، والاستقرار والطمأنينة التي يحلم بالعيش فيها كل فرد من المجتمع والإنسان على سطح الأرض.

ب . المكان المغلق:" فهو يمثّل غالباً الحيّز الذي يحوي حدوداً مكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير من المكان المفتوح، فقد تكون الأماكن الضيّقة مرفوضة لأنّها صعبة الولوج، وقد تكون مطلوبة لأنّها تمثّل الملجأ والحماية التي يأوي إليها

[13] أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمل: الجزائر، د.ط، ص51.

الإنسان بعيداً عن صخب الحياة"[14]. والأماكن المغلقة منها الأليفة والتي نعود إليها آخر النهار لنرتاح من تعب وشقاء اليوم كالبيت رمز الدفء، والاستقرار النفسي والجسدي، والأمكنة المغلقة كالمقاهي والمخيفة كالسجن، وهذه الأمكنة بدورها تنقسم إلى أمكنة الإقامة الاختيارية كالمقاهي والبيت، وأمكنة الإقامة الجبرية كالسجن.

ج ـ المكان الواقعي والخيالي: في البداية نعرّف كلّاً من الواقعيّ والخياليّ، فالمتخيّل هو: " بناء ذهني، أي أنّه نتاج فكريّ بالدرجة الأولى، وليس نتاجاً مادياً، في حين الواقع معطى حقيقي وموضوعيّ"[15]. و" إن المتخيّل يحيل إلى الواقع ويستند إليه، في حين أنّ الواقع يحيل الى ذاته"[16]. ويمكن القول إنّ الأدب ينطلق من" واقع ويعبر عن واقع" علاقة المتخيّل بالواقع"[17]. و"الواقع هو عبارة عن شبكة من العلاقات المادّيّة: إنسانيّة، اجتماعيّة، وحضارية، ثقافيّة، ..."[18]. وتعريفنا لهذين المفهومين: المتخيّل والواقع يحدّد العلاقة التي تربط كلاً منهما بالآخر،" المتخيّل نوع من الممارسة لهذا الواقع"[19]، هذه الممارسة "تكون في شكل إعادة إنتاجه أو ترتيب علاقاته أو تشكيله من جديد"[20].

---

[14] أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، 59.

[15] جان موكار وفسكي، الفن بوصفه حقيقة سيموطيقية، ترجمة: سيزا قاسم، القاهرة: دار الياس، 1986م، 286.

[16] حسين، خمري، فضاء المتخيل، دمشق، وزارة الثقافة، ط2001، 39.

[17] جان، الفن بوصفه حقيقة سيموطيقية، 286.

[18] حسن، محمد سليمان، فضاء المتخيل، مجلة المعرفة، دمشق، وزارة الثقافة، عد469، 286.

[19] العيد، يمنى، في معرفة النص، بيروت، دار الآفاق، ط3، 1985م، 50.

[20] حسن، فضاء المتخيل، 40.

وإن أي عمل فنّي هو نتاج خيال مبدع، لكن هذا الخيال يختلف من فنان إلى آخر ومن نوع أدبي إلى آخر. حيث يكون الخيال لدى الكاتب القصصي أقرب الى الواقع بالنسبة الى الأجناس الأدبيّة الأخرى؛ فالمادّة القصصية تتجذّر في الواقع والحياة الإنسانية. فمثلا سيزا قاسم يلفت نظرنا الى الدور الهامّ الذي يلعبه عنصر الخيال الذي يفتح فكر المبدع وحتّى القارئ لتخيّل الأمكنة والإيهام بها كأنّها حقيقة، فالخيال هو الذي ينقلنا الى تلك الأمكنة المتنوّعة العوالم بواسطة اللغة التي يعتمدها الكاتب المبدع في وصف فضاءاته، فهو أوسع من أن يكون مكاناً هندسيّاً تحكمه لغة القياس والأحجام، بل هو مكان يخضع لرؤية خاصّة تتفاعل مع الأنساق والسياقات التاريخيّة والنفسيّة والاجتماعيّة. والمكان أحد العناصر الضروريّة والمهمّة في البناء القصصي سواء أكان هذا البناء معبّراً عن الواقع المعيشي أم آتياً عبر المتخيّل الذهنيّ للقاصّ، ويستوعب القاصّ نفسه العلاقات الاجتماعيّة والثقافيّة المتبادلة بين الإنسان ومجتمعه وارتباط هذه العلاقات بمكوّن المكان.

لكن رغم اتّكاء الكاتب القصصي كثيراً على نقل الواقع الذي يعيشه، فهو لا ينقل شخوصه وأحداثه والمكان الذي تدور فيه هذه الأحداث كما هو، وأنّه لا يقصد استعادة الحقيقة كما هي في الواقع لاستحالة ذلك" فالحقيقة في ذهن الفنّان شيء يخلق وليست شيئاً موجوداً أصلاً، وما يرمون إليه إيجاد أعراف جديدة تستطيع أن تحدث بصورة أفضل إيهاماً بالحياة الواقعية عن طريق تضييق الشقّة بين المحاكاة الرمزية للعالم الواقعي والعالم الواقعيّ نفسه"[21].

[21] مندولا، الزمن والرواية، تر، بكر عباس، تح، إحسان عباس، بيروت:دار صادر،ط1997،1م، 44.

وإنما يسعى أن يخلق" عالماً متخيّلاً مقارباً للواقع المعيشي، ويحاول من خلال عمله صياغة الواقع صياغة جديدة؛ لذلك يمنح الأمكنة، أسماء حقيقية معروفة في الواقع الخارجيّ لأنّ تعين المكان يعمل على الإيهام بواقعيّة المكان الذي يحتضن الحدث القصصيّ"[22]، فالمكان القصصيّ؛ يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح. وطبيعيّ أنّ أي حدث لا يمكن أن يتصوّر وقوعه إلا ضمن إطار مكانيّ معيّن...، وبالتالي فالعلاقات الجغرافيّة في النصّ الفنّيّ ليست بذات أهميّة كبيرة؛ لأنّ وظيفتها تنحصر في تحديد المكان وتعريضه لأليات الانزياح والانكسار وتلك استراتيجية الناس في تفتيت المكان الواقعي الثقافيّ وامتصاصه وإنتاجه بصورة متغايرة حتّى تتحقّق الوظيفة الشعرية الجمالية"[23] التي أفلح الكيلاني في توظيفها.

والمكان في القصّة خاصّ بها، وهو" مكان منته وغير مستمرّ ولا متجانس، ولا يعيش على محدوديّته كما أنّه فضاء مليء بالحواجز والثغرات ومُكْتِظٌ بالأصوات والألوان

[22] حسين، المكان في الرواية البحرينية، ص32؛ وحسين، خالد، شعرية المكان في الرواية الجديدة، الرياض، مؤسسة اليمامة، ط1، 2000م، 424.

[23] حسين، خالد، من المكان إلى المكان الروائي، مجلة المعرفة، دمشق، وزارة الثقافة، عد442، ط2000، 167.

والروائح ..."[24]. فإنّ الكيلاني في رسمه للمكان الروائي كان يستند في الغالب إلى الواقع، وإلى الخيال في بعض الأحيان، فجاءت مجمل رواياته بنسب متفاوتةٍ بين الحقيقة والخيال[25].

3.2. أهمية المكان في بنية الرواية وتركيبها

يمثل المكان في الرواية عنصراً من عناصر السرد الروائي؛ لأنّ المكان في كل أبعاده الواقعية والمتخيّلة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنصّ وبكلّ ما يحوي من شخصيّات وأزمنة وحوادث، ويتميّز بخصوصيته، وبوظائفه المتعدّدة التي تتحكّم في تركيب وتكوين إطار الحدث كما أنّها تساعد القارئ على التخيّل وتصوّر الأمكنة التي يعرضها الروائي سواء كانت أمكنة مغلقة أم منفتحة أو ذات أبعاد سياسية أو اقتصادية...، فللمكان دور هام في تفعيل العمل الأدبي والفني" فهو مسرح الأحداث والهواجس التي تصنعها الذاكرة التاريخية"[26]، فمن خلال المكان وما يحدث فيه يمكن قراءة وفهم كلّ حدث وتفاعل للشخصيّات وحركتهم مع المكان. فوظيفة المكان هي وظيفة جمالية دلالية ذات بعد درامي في صنع الإبداع الفنّيّ. إنّ المكان" ليس عنصراً زائداً في الرواية، ... بل أنّه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله"[27].

---

[24] بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي: الفضاء ـ الزمن ـ الشخصية، بيروت، المركز الثقافي، ط1، 1990م، 32.

[25] ينظر وجدان، يعكوب محمود،" الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني"، كلية الآداب، الجامعة العراقية، بإشراف: جبير صالح حمادي، 1432هـ، 122.

[26] طالب، أحمد، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار العرب للنشر، وهران، 50.

[27] بحراوي، بنية الشكل الروائي، 33.

إذن يمكننا القول بأنّ المكان هو نقطة انطلاق الكاتب وهو المكوّن الأساسيّ لبنية النصّ ككلّ، وبهذا يصبح المكان عنصراً فاعلاً في الرواية وفي تطوّرها وبنائها، وفي طبيعة الشخصيّات التي تتفاعل معه وفي علاقات بعضها ببعض. فهو البنية الأساسية لتشكيل الحدث الروائي، والحدث" لا يقدّم سوى مصحوب بجميع إحداثيّاته الزمانيّة والمكانيّة، ومن دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السردّ أن يؤدذي رسالته الحكائية"[28]، وكل هذا ضروري من أجل نمو وتطوّر السرد لأنّه بحاجة إلى عناصر زمانيّة ومكانيّة. فأصبح المكان بمنزلة العمود الفقري التي تُبنى على أساسه الأجناس الأدبيّة من قصّة وشعر ورواية، ومن دون المكان يفتقد العمل الأدبي تلك الخصوصيّة والأصالة فيختلّ دونه العمل الأدبي، وطبعاً فيعني هذا الأخير جنس الرواية الذي نحن بصدد ربط المكان بها والتي لا تخلو من الخيال لأن " المكان الذي يأسر الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مبالياً خاضعاً لأبعاد هندسية وحسب، بل هو مكان عاش فيه الناس ليس بطريقة موضوعيّة، وإنما ما للخيال من تحيزات"[29].

فعلاقة الإنسان بالمكان علاقة تأثير وتأثّر، فالمكان الفنّي يتشكّل من مجموع الشخصيات وهي الفواعل في أي محكي، ولا يمكن لأي حدث أن يقع إلا ضمن إطار المكان المخوّل لذلك في زمن معيّن، فالشخصيّة في قيامها بأي عمل ترتكز على حدود المكان الذي يتم وصفه بتقنية عالية، لأنّه يضمها ويضم الأحداث والزمان، وعليه يتشكّل

[28] بحراوي، بنية الشكل الروائي، 29.

[29] قاسم، سيزا، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة العامة للكتاب، ط1984م، 76.

فضاء العمل السرديّ من مجموعها جميعا"[30]. فالسارد يخلق شخصيّاته بلغته الخاصّة وخياله فيأتي المكان كفضاء محصل بالدلالات الواقعيّة والمتخيّلة التي من خلالها يشارك القارئ ويجعله يعيش تجربته المكانية الروائية.

فالمكان هو الذي يتبنّى العناصر السرديّة، ممّا يجعله إطاراً جامعاً للعناصر الفنّيّة، بما فيها الحدث، ممّا يكسبه تلك الخصوصية والفرديّة التي يمتاز بها عن غيره من العناصر الأخرى لأنّه بمثابة مسرح للحدث في حدّ ذاته فكلٌ منها يستلزم حضور الآخر.

3. أنواع المكان ودلالاته

إنّ أهميّة المكان وما انطوى عليه من دلالات في النصّ الروائي من احتوائه للزمن والشخصيّات والأحداث، هو ما دفع ببعض النقّاد والدارسين للبحث عن أهمّ أنواع المكان ومستوياته، وكما سبق أن ذكرنا أهم مظاهر المكان من (المفتوح والمغلق، والواقعي والخيالي)، فسنحاول في هذه الفقرة إبراز أهم أنواع الأمكنة في رواية (أميرة الجبل) للكيلاني باعتمادنا على الثنائيّات الضّدّيّة، خاصّة بالتركيز على ثنائيّتي" المقّدس والمدنّس" في هذه الرواية، ثم نعرّج بعدها الى نوع آخر، سنبدأ أولاً بدراسة:

1.3. المكان المُقدّس: ذلك المكان الآمن الذي تشعر فيه الشخصيّة بالاستقرار النفسيّ والصفاء بعيداً عن كل مظاهر الفساد والعفونة، إنّ مثل هذا المكان كثيراً ما يتجسّد في عالم الفطرة الأولى عالم يتصّل "بزمن أسطوريّ، يحيل على الأصل الأوّل، من خلال

[30] عزام، محمد، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005، بد ط، 68.

العودة الى نبع تنتهي عنده كل الجداول، إنّه مبدأ الامتداد الذي يستهوي النفس ويستشير انفعالاتها رغبة في تحقيق ما يتمنّاه مطلق مع الوجود"[31]؛ لذلك نجد أغلب شخصيّات الرواية كانت في بحث دائم عن هذا المكان الآمن في ظل فساد المكان الحاضر. لقد تعدّدت هذه الأمكنة المقدّسة في رواية "أميرة الجبل"، فنجد منها:

1.1.3. المكان الرحميّ: هو ذلك " المكان الفردوسيّ المقدّس الذي سرعان ما تتعطّش الشخصيّة للعودة إليه لتهرب إليه بذاكرتها كلّما تفاقم الوضع"[32] في القبيلة المكان الحاضر، فتلجأ بطلة القصّة مريم الى الطبيب فتجد عنده الألفة والدفء، في الوقت الذي يقسو عليها الظلم والفساد الذي غشي هذه المدينة– رأس الخيمة– في قبيلة علي زيدون.

وهو الأمر الذي نلمسه في معرض حديث الكيلاني عن شخصيّة مريم بنت شيخ القبيلة علي زيدون، حيث يقول:"كانت تقضي نهارها وهي تعاني من اختناق التنفّس في صدرها... أخذت تسعل، فاجتاحتها نوبة من السعال الحادّ والجافّ، وكنت أسمع عن بعد الصوت الموسيقي المميّز للربو، ثم قالت: "مستحيل" ... بينما استسلمت مريم، واستلقت على ظهرها وكشفت عن صدرها الذي زاد معدّل علوّه وهبوطه...الدموع تبلّل أهدابها، ووجهها متّجه إلى الجانب المقابل، وثورة مكبوتة ترتسم على محيّاها ونظراتها، وتأكّدت من فحصّ الرئتين والقلب وضغط الدم... وبعد أن أخذت الحقنة... أدركت أنّ معدّل تنفّسها قد أصبح طبيعيّا... قال الطبيب: " أتمنّى أن أراك مرةً ثانيةً". مريم: "لماذا؟". ـ "أعني أن تحضري الى المستشفى، وسأعطيك كميّة من الدواء تستعملينها عند الضرورة..". أضاء

[31] سعيد بن كراد، السرد وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2008م، 170.

[32] عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، دار الروائع للنشر، الجزائر، ط4، 2004م، 187.

وجهها بفرحة طفوليّة، وبدا أنّ الفكرة قد راقت لها وقالت باسمة: " إنّني أحبّ الذهاب الى رأس الخيمة. إنّ فيها العجائب ..."[33].

فعندما كانت تبتعد عن الطبيب الذي وجدت عنده العطف والدفء والحنان، فإنها كانت تحنّ إلى ذلك المكان الرحميّ، واعتباره مكاناً مقدساً أصبح بمثابة العدوى في هذه الرواية فسرعان ما نصادف أعراضه لدى الشخصيّات الروائيّة الأخرى، أمثال:" شخصيّة الصيدلانيّة الهنديّة، وشخصيّة الممرّض بيتر، وشخصيّة عبد الله الذي كان يحبّ مريم..."[34]، وبذلك يغدو هذا المكان الرحميّ مكاناً مثاليّاً مفقوداً مكاناً ينبع من طهارة الأمومة المقدّسة فهذا" المكان ليس موجوداً خارجنا أكثر ممّا هو موجود بداخلنا، فهو عالق بذاكرتنا عبر الأزمان ينسج بينه وبين الشخصيّة علاقة حميمة تقترب من درجة التقديس"[35]. فهذا المعنى الذي كانت تحسّ به مريم كما التقت بالطبيب وعبّرت عما تحسُّ به في هذا المكان الرحمي.

2.1.3. الأرض "المكان الفطريّ": هو "تشكّل الأرض لحظة البداية الكبرى التي تلغي كل ما يدلّ على الحضور الإنساني وتضع الطبيعة أصلاً لكلّ شيء، إنّه زمن آخر تتحقّق حلقاته على شكل شلالات كبرى تتجاوز اللحظات المخصوصة لتستوطن وضعيّات تذكّر بالبدايات الأولى لانبثاق الكون من العدم"[36]. فالارض بذلك تتجاوز

---

[33] الكيلاني، رواية (أميرة الجبل)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م، 17. 19.

[34] الكيلاني، رواية (أميرة الجبل)، 19 . 21.

[35] زايد عبد الصمد، المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة، كلية الآداب، منوبة،ط1، 2003م، 341.

[36] سعيد بن كراد، السرد وتجربة المعنى، 169

دلالاتها الحقيقية لتحمل بعدًا جماليًا يثير في النفس الهدوء والاستقرار فهي ليست مجرّد مساحات خضراء وجبال وآبار وأودية، بل هي رمز للوجود ومسرح للخيال هي الحلم الأبدي الذي يعشش في قلب الإنسان.

فالبحث عن مكان آمن بعيداً عن قبيلة شيخ علي زيدون، وكان شغل الشاغل لشخصيّة مريم وبعض بنات القبيلة في هذا المتن الروائي وهو ما نجده جليًا في شخصية البطل (الطبيب)، ومحبوبته (مريم) الذي اعتبر الأرض عالماً آخر عالم الفطرة والنقاء وهذا ما يوحي به المثال التالي[37]: قال الطبيب: " نظرت من حولي فلم أجد غير القمم والوديان ومسارب الجبل وبعض الكهوف، وأغنام وماعز... وبعض النباتات الخضراء القميئة التي اغتسلت بماء المطر الصافي"[38]. فهذه العبارات تعبر عن معنى الأرض المكان الفطري الذي يحمل كل معاني الصفاء والنقاء الفطري لدى الانسان الطبيعي الخال من الحسد والحقد، ومن كل أمراض القلوب.

2.3. المكان المُدنّس: هو المكان الذي امتهن قدسيته "دنس اليهود المسجد الأقصى". ودنس عرضه: وسخه، فعل به ما يشينه "ما دنس عرضه إلا وضيع- دنسه سوء خلقه. دناسة: مفرد؛ مصدر دنّس؛ أي انتهاك الحرمات"[39]. والدناسة في لسان العرب:

[37] الكيلاني، رواية أميرة الجبل، 39 -41؛ وينظر جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، 67.

[38] الكيلاني، رواية أميرة الجبل، 14.

[39] أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر عالم الكتب، ط1، 2008م 774/1.

من الدنس في الثياب، أي لطّخ الوسخ، ونحوه حتّى في الأخلاق، والجمع أدناس. وقد دنّس يدنّس دنساً، فهو دنس، أي توسّخ[40].

يرى الباحث جان كازينيف، أن المدنّس ينحصر في اللاسويّ، ... فيقول: يكون مدنّساً كل ما يشارك من قريب أو من بعيد، مباشرة أو بالملامسة، في انقلاب النظام الطبيعيّ أو الاجتماعيّ، إذ إن هذين النظامين متمازجان بقوة في حياة البدائيّ. ويكون مدنّساً كل ما يمنع الجماعة من الإنعام عليه الإنعام أفرادها بحياة هادئة، بلا قلق، بلا مشاكل فرديّة، وبلا مفاجئة. وفي مستطاع الإنسان السوي دفع هذه الدناسة الوجوديّة، وتجنبها كخطر يهدّد حياته. إنّ معظم التعاريف التي حظي بها مفهوم المدنس، تحصر في كل ما هو قذر ومكروه، ...[41]. فإنّ كثيراً من الأماكن قد لا تكون مدنّسة ولكن قد يصيبها شيء ما يجعلها مدنسة فمنها:

1.2.3. السينما: هو صالة لعرض الأفلام والصور المتحرّكة، مثل: "المركز العربي للسينما والتليفزيون"، وسينما مجهرية: أحد مناظر لأشياء مجهريّة. ويأتي أيضاً بمعنى فنّ إنتاج وإخراج الأفلام التي تعرض على الشاشة البيضاء أمام الناظرين ويطلق عليه الفنّ السابع "، وهي وسائل بارعة في التصوير والإخراج، ...[42].

---

[40] ابن منظور، لسان العرب، 632/12.

[41] الياد، ميرسيا، المقدس والمدنس، ترجمة عبد الهادي المحامي، دار دمشق للطباعة، ط1، 1988، 123؛ وشلحت، يوسف، بنى المقدس عند العرب، تر: خليل أحمد خليل، دار الطليعة– بيروت، ط2، 2004، 111. بتصرف.

[42] عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1152/2.

يعدّ السينما مكاناً اجتماعياً بامتياز، وهو المكان الذي تلتقي فيه مختلف طبقات الشعب وأكثر الأماكن ذكراً في الروايات، ويمثل نموذجاً مصغّراً عن المجتمع ككلّ، والسينما كفضاء جمالي على حدّ قول" شاكر النابلسي:" يعتبر علامة من علامات الانفتاح الاجتماعيّ والثقافيّ فنلاحظ أنّ السينما انتشرت في أماكن مختلفة من العالم العربي فكانت فيه مجتمعات هذه السينمائيات منفتحة انفتاحاً اجتماعيّاً وثقافياً وفنّياً ملحوظاً، فيما لو علمنا أن بعض السينمائيات كانت تقوم مقام النادي الأدبي كما كانت تقوم مقام المسرح، ..."[43].

من خلال ما سبق نستنتج أن السينما مكان يحمل بعدًا اجتماعيًا يدل على الانفتاح والتحضّر. وتكمن جمالية هذا المكان في الرواية في وصف الكاتب للوضع الذي حدث في السينما حينما تسلّل عبد الله إلى المستشفى في الليل وأخذ مريم إلى السينما خلسةً...أمسك بيدها، رنت إليه بطرف حائر، ضمّها إلى صدره تململت قليلاً، ثم استسلمت، طبع على وجهها قبلة حارة، وهتف:" لن تستطيع قوّة أن تنزعك منى..."، سكنت معارضتها، وانتشى قلبها البكر بكلماته القويّة، وتحسست ذراعيه المفتولتين، ... مسح بأنامله على رأسها وعنقها، حينما تكونين معي أشعر أنّي أملك الدنيا كلّها... إنني أحلم باليوم الذي نمتطي فيه ظهر بعيري..."[44]. إنّ بعض تصرفات عبد الله مع مريم في صالة السينما غير أخلاقيّة ممّا جعلها مكانًا مدنّسًا، فإنّ بعض الأفعال غيّر الأخلاقيّة في

[43] نابلسي، شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات، عمان الأردن، ط1، 1994م، 195.

[44] الكيلاني، رواية أميرة الجبل، 50- 57.

السينما تحولّها إلى مكان مدنّس، وهي في الحقيقة قد لا تكون مكانًا مدنّساً، وتبيّن ذلك واضحاً من خلال ما وصفه الكيلاني، من الأحداث التي جرت بين شخصيات الرواية في صالة السينما، ومن هذه الأمكنة أيضاً على ذلك ما يلي:

2.2.3. المستشفى: يمثل المستشفى المكان الذي يقدّم الراحة والاطمئنان من أجل الشفاء فهو المحطة التي يصل إليها كل مريض يتطلع الى الشفاء، والانتقال الى حال أحسن،" إذ يكتسب المستشفى تشكيلًا جماليًا خاصًا له دلالاته، إذ يتموقع المستشفى دائماً في مكان حيث السكون والهدوء"[45]. فكان للمستشفى دور كبير في الرواية حيث ورد في أمثلة عديدة نذكر منها قول الكاتب: " ليت الطبيب يستطيع أن يحتجزها في المستشفى بضعة أيام، حتى تبعد عن جو الخلاف العائلي الصاخب، وتريح نفسها من رؤية ابن عمها، الذي يريد الزواج منها إجباراً، حسب ما توجبه قوانين القبيلة، ... وسماع كلماته المتعجرفة... فقد يتسلل عبد الله ويأتي إليها زائرًا في المستشفى،... وكلما اقتربت مريم من المستشفى ازداد لهاثها، وصعب تنفسها، لم تكد تبلغ المستشفى إلا ونوبة الربو كانت على أشدها... وجدتها مستلقية على سريرها في سعادة قصوى،... قالت:" الحمد لله... كأنما انزاح عن صدري حجر كبير... أراها أحيانًا تجري في حوش المستشفى، أو تذهب الى المطبخ...،"[46] ولكن تحولّت المستشفى إلى مكان مدنّس في فترة انتشار اشاعة خبر الذي" نشره الصيدلاني الهنديّ بيتر عن الممرّضة الهنديّة فاتسالا، بأنّها أصبحت عاهرة

[45] ينظر حبيلة الشريف، بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديثة، إربد، ط1، 238. وينظر يعكوب، الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني"، 122.

[46] الكيلاني، رواية أميرة الجبل، 25- 45.

تلاحق الرجال، أو هم يلاحقونها، وأنَّ الطبيب فلان يعشقها وأصبح جوّ المستشفى معكّراً ومضطرباً مدنساً..."[47].

نلاحظ من خلال ما وصفه الكيلاني، من تصرفات بعض الأشخاص في المستشفى التي تعتبر من الأمكنة النقيّة الصافية، التي يقصدها الناس من أجل الحصول على العلاج والشفاء، إذ تحولّت المستشفى إلى مكان مدنّس بعد أن أصابها لطخات وسخة من أفعال بعض هذه الشخصيّات في الرواية.

3.3. المكان المغلق: يُقصد به المكان الذي يقيم فيه الانسان ردحًا من الزمن، وتنشأ بينهما جدليّة قائمة على التأثير والتأثر"، وهذه الأماكن تعكس قيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية للأفراد الذين يقطنون تحت سقوفها"[48]، فيستغلّها الإنسان حسب حاجته، فيستخدم بعضها للسكن والراحة كالبيت، وأخرى لكسب الرزق كالمعمل أو للعلاج كالمستشفى أو الترفيه...إلخ، فيتنقل الإنسان بينها ويشكلّها حسب أفكاره. فقد أدّت الأمكنة المغلّقة دورًا مهمّاً في رواية" أميرة الجبل"، فالأمكنة المغلقة ماديًا واجتماعيًا تُولّد المشاعر المتناقضة، والمتضاربة في النفس وتخلق لدى الإنسان صراعًا داخليًا بين الرغبات

[47] الكيلاني، رواية أميرة الجبل، 25- 45.

[48] سعد الله، محمد سالم، أطياف النص دراسات في النقد الاسلامي المعاصر، عالم الكتب الحديثة، أربد، ط1، 2007م، 169.

وبين المواقع وتوحي بالراحة والأمان، وفي الوقت نفسه لا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف، ولا سيما إن كان المكان المغلق هو السجن أو ما شابهه"[49].

ويمثّل هذا النوع من الأمكنة في رواية" أميرة الجبل"، حيث ذكر الكيلاني بعض الأمكنة من مدينة رأس الخيمة، التي ورد ذكرها عبر صفحات متفرقة من الرواية، فضيق المكان بالنسبة لبطلة الرواية مريم علي زيدون، جعلها تحلم بأفاق بعيدة لعلها تحقق أحلامها فهي ترفض واقعها في القبيلة، وتحاول كسر القيود والحواجز التي وضعها والدها في طريقها، وترغب في تحرير ذاتها. فيصف الكيلاني أولاً وضع مكان المغلق لمريم في:

1.3.3. البيت: يعدّ من الأمكنة المغلقة، وهو رمز الدفء والطمأنينة التي يشعر بها الإنسان؛ لأنه عندما يريد الهرب من مشاكل الحياتية، ومن صخب الازدحام في مشاكلة الناس، حينها يلجأ إلى المأوى والسكن النفسي، بالرجوع الى البيت، إلى مكان ذكريات طفولته، وأحلامه الجميلة، وما عاشه من أيام جميلة، مع أهله وعائلته. يصف الكاتب وضع مريم في البيت قائلاً:" انزوت في ركن من الغرفة، كنت أرى بريق عينيها الخائفتين الضارعتين يخترق الخمار الأسود الشفاف، كانت لم تزل تلهث دون أن تصدر منها كلمة واحدة ... رفعت مريم خمارها، وابتسمت في توتر... وهمستُ لها: "لا تخافي يا مريم". أدارت وجهها صوب الحائط...، وقالت في شراسة محببة: "أنا لا أخاف"[50].

[49] ينظر: حفيظة، أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات أوغاريت، رام الله، فلسطين، ط1، 2007، 134.

[50] الكيلاني، رواية" أميرة الجبل"، 17-23.

وفي وصف الغرفة التي يسكنها الطبيب يقول الكاتب على لسان الطبيب:" أحياناً أجدني وحيداً في مسكني، إذا حط المساء، فأستشعر ضيقاً بالغاً وأكاد أختنق، يتخيل إلي أن سقف الحجرة التي أجلس فيها وحوائطها الأربعة سوف تطبق علي وتسحقني فأسارع بارتداء ملابسي، وأذهب إلى غرفتي في المستشفى ومعي الراديو، وبضع صحف ومجلات وكتاب، وأجلس مستمعًا بمن حولي من العاملين في المستشفى..."[51].

نستنتج من خلال ما وصفه الكيلاني عن حالة الشخصيات في البيت، ما أدته الأمكنة المغلقة من دور مهم في رواية" أميرة الجبل"، فوصفه لحالة مريم في بيتها وكذلك حالة الطبيب في بيته، وما تولد لديهما من مشاعر متناقضة ومتضاربة في النفس وخلق لديهما صراعًا داخليًا بين الرغبات وبين المواقع التي توحي بالراحة والأمان، وفي الوقت نفسه لا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف، التي عاشها كلاً من مريم والطبيب سابقًا، ولا سيما عندما كان الطبيب يرى بعض الأمكنة التي تذكره بما عاناه في السجن سابقاً.

2.3.3. القبيلة: تعتبر من الأمكنة المغلقة، التي ورد ذكرها في الرواية، فإذا قرن وضع القبيلة بالنسبة للقرية أو المدينة فهي تعتبر من الأمكنة الضيقة، فضيق المكان بالنسبة لبطلة الرواية مريم، جعلها تحلم بأفاق بعيدة علها تحقق أحلامها فهي ترفض واقعها في القبيلة، وتحاول كسر القيود والحواجز التي وضعها والدها في طريقها، والقوانيين التي تمشي عليها القبيلة، وهي ترغب في تحرير ذاتها. فيصف الكيلاني أولاً وضع مكان المغلق لمريم في القبيلة، مريم مخطوبة لابن عمها خميس حسب قوانيين القبيلة البنت تتزوج من ابن عمها

[51] الكيلاني، رواية" أميرة الجبل"، 17- 25.

حسب عرفهم حتى وإن كانت لا تريده أو تحبه، ومريم تحب أحد فتيان القبيلة، اسمه عبد الله وهو يريدها ربما لأنها بنت شيخ القبيلة، حتى يرفع مكانته بها، وهي مريضة بمرض الربو، فأبوها يجبرها على ابن عمها خميس، فيزداد مرضها، بوجوده وكلماته المتعجرفة[52]. نلاحظ من خلال ما وصفه الكيلاني من حالة مريم المرضية السيئة، ومما تعانيه من مشاعر الضيق والخوف وتحس أنها في السجن ومكبلة بالقيود.

4.3. المكان المفتوح ودلالته: سبق أن تكلمنا عن المكان المفتوح في مدخل البحث وسنستشهد ببعض الأمكنة المفتوحة من رواية" أميرة الجبل" مثل:

1.4.3. المدينة: تعد فضاءً جغرافياً واسعاً تضم مجموعة من الأمكنة الجزئية مثل: المقاهي والشوارع، والأحياء، والساحات، والمستشفيات... لم تعد المدينة مجرد" مكان للأحداث بل استحالت موضوعا، ... ذات كثافة سكانية كانت سبباً لمظاهر كثيرة ومشكلات نفسية واجتماعية، ومن ناحية أخرى أصبحت ملتقى التيارات الفكرية والفلسفية العالمية الواردة إليها من جهات مختلفة من العالم"[53].

إذن فالمدينة" تعتبر الوسط الذي يتم فيه العثور من الحاضر إلى الماضي كما أنها تجمع جميع فئات المجتمع من شباب وكهول وأطفال وتحدد لنا ميزة العلاقات الأسرية والصداقة"[54]. فتظهر المدينة جليةً في الرواية، من خلال ذكر مدينة "رأس الخيمة" التي تمحورت جل الأحداث بداخلها، وكانت ملتقى الشخصيات من خلال التداخل والتفاعل

[52] ينظر الكيلاني أميرة الجبل، 18. 30.

[53] حبيلة الشريف، بنية الخطاب الروائي، 256.

[54] عبد الحميد بواريو، منطلق السرد في القصة الجزائرية، ديوان المطبوعات، الجزائر، د.ط،1994م، 146.

بينها وبين الأمكنة، فتمثل مسرح الأحداث في الرواية، يصف الكاتب الوضع في المدينة قائلاً:" خشيت أن يكون الخبر قد وصل رئاستنا في دبي... لقد خرجت إلى الشوارع... واجهت الأكاذيب... شرحت الأمر لشيوخ الإمارة...، ثم انحدر إلى مدينة رأس الخيمة يتجول بين بيوتها... ويقبع لدى حوانيت الخضروات والبقالة... يحوم حول بيوت الحكام... نزلت مريم وسط مدينة دبي... وخطا الى الشارع الكبير المكتظ بالمشاة والسيارات... الأضواء من كل جانب... أمام المستشفى... "البيئة التي أعيش فيها لها تقاليدها،... لم يفت ذلك زملائي في المستشفى ... حاكم رأس الخيمة... سأسافر يا مريم جولة الى الكويت... أو سوريا أو الأردن، أو... لبنان عاد مطوع الى دبي كان يجلس أمام المستشفى حتى إذا خرج الطبيب يراه مع مريم... ذهبا الى المطار ليسافر الى لبنان..."[55].

لقد ذكر الكاتب شخصية مريم التي عاشت في القبيلة، وهي مكان مغلق لها قوانينها الصارمة القاسية، وعاداتها وتقاليدها الضيقة، مما أثرت على شخصية مريم سلباً، فأصبحت منعزلة عن الناس تبقى معظم وقتها في البيت، مما جعلها تشعر بالخوف والاضطراب، وتحس بمشاعر القلق والضيق، فأصابها نتيجة ذلك مرض الربو. وكان ينتابها حالات ضيق حادة في التنفس... وعندما انتقلت إلى المدينة للمعالجة من مرضها في المستشفى، ثم خرجت بعد ذلك خلسة مع حبيبها عبد الله إلى السينما، ورأت الشوارع والساحات الواسعة، والمحلات التجارية الكبيرة... في المدينة، ورؤيتها لهذه الأماكن المفتوحة، مما أثر عليها إيجابًا، فأصبحت تشعر بارتياح وأحست بالحرية، ومعاملة الطبيب لها باللطف والحنان، وحبه لها، وعشقها له، مما جعلها تهرب من القبيلة، وتلجأ إليه ليتزوجها...إلخ.

[55] الكيلاني، رواية أميرة الجبل، 25 . 117.

فيتجلى دلالات المكان واضحة في شخصية مريم، لانتقالها إلى بعض الأماكن المفتوحة في المدينة، مع أنها كانت ترافقها بعض الأحيان الشعور بالخوف ولكنها تتجاوز هذا الشعور بجرأة؛ لأن انفتاح المكان والظروف العاطفية، التي كانت تشعر به ساعدها على ذلك.

2.4.3. المستشفى: من الأمكنة المفتوحة على المجتمع حيث يتّخذ المستشفى في الواقع شكل مكان للعلاج لا يركن بزواره المؤقتين يأتونه من أمكنة مختلفة بحثًا عن الشفاء ثمّ يغادرونه، يعيش حركة تجعله مكان انتقال مفتوح على الناس. "ويمثّل المستشفى المكان الذي يقدّم الراحة والاطمئنان من أجل الشفاء فهو المحطّة التي يصل إليها كل مريض يتطلع الى الشفاء، والانتقال الى حال أحسن، إذ يكتسب المستشفى تشكيلًا جماليًا خاصًا له دلالاته، إذ يتموقع المستشفى دائماً في مكان حيث السكون والهدوء"[56].

كان للمستشفى دور كبير في هذه رواية حيث جرت معظم أحداث الرواية في المستشفى وورد في ذلك أمثلة عديدة نذكر منها ما وصفه الكاتب قائلاً: " فوجئت ذات مساء بناطور المستشفى يدقّ باب بيتي في هدوء ويقول: جئت لأشرب معك فنجان من القهوة...، أرى أنّه من الأوفق بقاءها فترة تحت الفحص والعلاج بالمستشفى.... أعتقد أنه من الأصوب تنفيذ نصيحة الطبيب"[57]. وعاد الهدوء إلى المستشفى، ولاحظت تقدماً في صحّة مريم، ولم تعدّ تداهمها النوبات... وتضرب عرض الحائط بقوانين المستشفى، فتخلع ملابس المرضى، وترتدي ملابس ملونة..."[58].

---

[56] حبيلة، بنية الخطاب الروائي دراسة في روايا تنجيب الكيلاني، 238.

[57] ينظر الكيلاني، رواية أميرة الجبل، 25 . 117.

[58] بتصرف: الكيلاني، أميرة الجبل، 37- 45.

حيث تمّ نقل بطلة القصّة مريم إلى المستشفى، وتم علاجها فيه، وخلال الفترة التي بقيت فيها مريم بالمستشفى جرت معها أحداث كثيرة؛ منها: بقاء ابن عّمها خميس على باب المستشفى لمراقبتها، وحراستها من الفتى عبد الله الذي كان يحبّها، كما جرت في المستشفى إشاعة خبر أن الممرّضة الهندية فاتسالا وهي من شخصيّات الرواية أيضًا أصبحت عاهرة تمشي على هواها، حيث ترافق الشباب في أوقات فراغها، وكان الذي ينشر هذه الإشاعات، هو الصيدلاني الهندي بيتر، وهو بدوره من شخصيّات الرواية أيضًا الذي كان يحب فاتسالا، وهي لا ترضى به فيشيع شائعات حولها حتّى تخاف، وتستسلم له وترضى به، ولكنّها تأبى ذلك، وإشاعة أنّ هناك علاقة بينها وبين الطبيب الغريب، وقصّة مريم مع حبيبها عبد الله، وخطيبها خميس ابن عمّها، وعشقها للطبيب العراقي بعد فترة من الزمن لبقائها معه بالمستشفى في فترة المعالجة.

نستنتج مما سبق من الأحداث في هذه القصة، بأنّه يتجلّى مكانة المستشفى بارزة في الرواية من خلال ما وصفه الكيلاني، من الأحداث الدرامية التي ذكرها عن أوصاف الأمكنة، سواء المفتوحة أو المغلقة. لقد كانت المستشفى مسرحاً لأحداث الرواية، فجرت هذه الأحداث كلها في المستشفى.

الخاتمة: أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وهي:

1. يُعدّ المكان عنصراً من العناصر الفنية الهامّة المكونة لنص الرواية.

2. الفضاء الروائي ليس الإطار الذي تجري فيه الأحداث فقط، بل هو أحد العناصر الفاعلة والفعالة في تلك الأحداث ذاتها، فهو متضمن لجملة من القيم الفكرية والاجتماعية والثقافية.

3. يترك المكان أثراً في نفسية شخصيات الرواية الذي يتراوح بين الإحساس بالراحة والتوتر، وما يضاف له هو ذلك الأثر الذي يختلج في نفس كل من الكاتب والقارئ.

4. ارتبط المكان بمدينة " رأس الخيمة" كفضاء جغرافي تتحرك فيه القوى المؤثرة على توجهات المجتمع وتطلعاته وأوهامه وأحلامه، فلكل روائي مدينته التي يجعلها مدار تجربته في الكتابة.

5. جرت أحداث الرواية على فضاءين أحدهما مغلق والآخر مفتوح، فالفضاء المغلق يتمثل في منزل مريم وبيت الطبيب، أما الفضاء المفتوح فيتمثل في المدينة، والشوارع والطرقات.

المصادر

ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط3، 1997م.

بحراوي، حسن، **بنية الشكل الروائي**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990م.

بواريو، عبد الحميد، **منطلق السرد في القصة الجزائرية**، ديوان المطبوعات الجزائرية الحديثة، بد ط، 1994م.

جان موكاروفسكي، **الفن بوصفه حقيقة سيموطيقية**، ترجمة، سيزا قاسم، القاهرة، دار الياس، 1986م.

الجرجاني، علي بن محمد؛ **التعريفات**، تح: ابراهيم الانباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1998م.

جلاوجي، عزالدين، **الرماد الذي غسل الماء**، دار الروائع للنشر، الجزائر، ط4، 2004م.

جندار، إبراهيم، **الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا**، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002.

حبيله، الشريف، **بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب الكيلاني**، عالم الكتب الحديثة، إربد، ط1.

حسن، محمد سليمان، **فضاء المتخيل**، مجلة المعرفة، دمشق، وزارة الثقافة، عدد 469.

حسين، خالد، **شعرية المكان في الرواية الجديدة**، الرياض، مؤسسة اليمامة، ط1، 2000م.

حسين، خالد، **من المكان إلى المكان الروائي**، مجلة المعرفة، دمشق، وزارة الثقافة، عدد 442، ط2000.

حسين، فهد، **المكان في الرواية البحرينية**، ط1، دار فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، 3003م.

حفيظة، أحمد، **بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية**، منشورات مركز أوغاريت، رام الله، فلسطين، ط1، 2007.

زايد، عبد الصمد، **المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة**، كلية الآداب، منوبة، ط1، 2003م.

سعد الله، محمد سالم، **أطياف النص دراسات في النقد الإسلامي المعاصر**، عالم الكتب الحديثة، أربد، ط1، 2007م.

شاهين، أسماء، **جماليات المكان في روايات جبرا ابراهيم جبرا**، دار الفارس، الأردن، ط2، 2001م.

شلحت، يوسف، **بنى المقدس عند العرب**، تعريب خليل خليل، دار الطليعة، بيروت، ط2، 2004م.

طالب، أحمد، **جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية**، دار العرب، وهران.

عبود، أوريدة، **المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية دراسة بنيوية لنفوس ثائرة**، دار الأمل: الجزائر، بد ط.

عزام، محمد، **شعرية الخطاب السردي**، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، بد ط، 2005.

عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، الناشر عالم الكتب، ط1، 008 م.

العيد، يمنى، **في معرفة النص**، بيروت، دار الآفاق، ط3، 1985م.

العقيل، عبد عقيل سليمان، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة**، دار التوزيع والنشر، مصر، ط1، 2002م.

قاسم، سيزا، **بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ**، الهيئة العامة للكتاب، 1984م.

كراد، سعيد، **السرد وتجربة المعنى**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2008م.

الكيلاني، نجيب؛ **رواية أميرة الجبل**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م.

لحميداني، حميد، **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2003م.

وجدان محمود، **الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني"**، كلية الآداب، الجامعة العراقية، 1432هـ.

مرتاض، عبد الملك، **في نظرية الرواية" بحث في تقنيات السرد"**، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، بد ط، 1998م.

مندولا، **الزمن والرواية**، ترجمة: بكر عباس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1997م.

الموقع الإلكتروني: الموسوعة الجزيرة نيت، تاريخ الوصول: 2024/2/22م: https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2015/4/19/

الموقع: بودكاست سالمه؛ تاريخ: 2024/2/22م: https://podcasts.apple.com/ve/podcast/

نابلسي، شاكر، **جماليات المكان في الرواية العربية**، المؤسسة العربية، عمان الأردن، ط1، 1994م.

الياد، ميرسيا، **المقدس والمدنس**، ترجمة: عبد الهادي المحامي، دار دمشق للطباعة، ط1، 1988.